غياب

ميرنا الشدياق

أيقونة العصر الذهبي لبيروت والمسرح... وداعاً

أنطوان كرباج في الذاكرة بحضوره الطاغي

من الصعب اختصار مسيرة رجل هز خشبة المسرح اللبناني لعقود. مع رحيل انطوان كرباج (1935 ـ 2025) تطوى سيرة فنان عاشق للمسرح والتلفزيون والسينما لكنها تظل شهادة على الابداع والاحتراف وعلى شخصية تجسدت فيها قدرة استثنائية على الاقناع صانعا تاريخا فنيا لا ينسى، ليبقى حاضرا في ذاكرة كل من تابع اعماله وتأثر بإبداعه الفريد

رحل انطوان كرباج بعدما انهكه مرض الالزهايمر، فأبعده عن الاضواء لسنوات. خلال مسيرته الطويلة، بقي اسمه مرتبطا بالمسرح رغم نجاحه الكبير على الشاشة الصغيرة.

رحلة كرباج لم تكن مجرد مسيرة فنية، بل كانت انعكاسا لمراحل عدة من تطور المسرح اللبناني. فقد تفاعل مع كبار المخرجين والمؤلفين، وساهم في تشكيل وعي الجمهور المسرحي من خلال ادائه الصادق والعميق. كان يعتبر ان المسرح هو الاداة الاكثر تأثيرا في ايصال القضايا المجتمعية والسياسية، ولم يتوانَ عن تقديم أدوار تتحدى الظلم والاستبداد، مما جعله فنانا ذا موقف، لا مجرد مؤد للادوار.

عن "الانسان" كان يتحدث كرباج ويوليه عناية تامة. فهو يرى انها كلمة بالمثنى اي "انسانان" و"انسان" تجمع الطيب والشرير. الناقص والمنقوص. وعند التطرق الى ادوار الشر التي حوصر بها، يخبر بان جميع من يقوم بأدوار الشر يتميزون بطيبة القلب، لكنهم يبدعون بما لا يملكون منه في شخصيتهم. ويعتبر ان الممثل "الشرير" ينفث عن غضبه وحنقه بالقتل والتخريب على المسرح فقط، من دون ان يؤذي احدا، ويا حبذا لو حذا حذوه جميع الاشرار في العالم. عاهدناه دوما داعيا للوحدة بين مكونات اللبنانيين والنقابات الفنية، عندما كان نقيبا للممثلين في لبنان من عام 2005 الى 2009.

من الحوادث التي تركت فيه اثرا كبيرا مرضه في عمر الخامسة، حين اصيب بالتيفوئيد، ولم يكن الطب متطورا انذاك، فشخص الطبيب حالته بطريقة خاطئة، واعطاه علاجا اصابه بالشلل وضرب حواسه حتى بات كفيفا. وقال الاطباء انه قد يبقى كفيفا طوال عمره، لكنه استعاد عافيته، الا ان اثار المرض اثرت على نظره.

لذلك دخل المدرسة في سن متأخرة (التاسعة)، لم يكن يعرف ما هو المسرح. الا انه كان يجمع بعض الاطفال لتقديم مشاهد بسيطة على شكل لعبة ليس الا. مع دخوله الجامعة كان يحلم بأن يصبح طيارا، لكن نظرا الى مشاكل عينيه، اتجه الى دراسة التاريخ ونال اجازة، علم بعدها هذه المادة. في فترة الدراسة الجامعية، كان طموحا، مثاليا، احتفظ بحبه للعبة المسرح، حتى قرر تشكيل فرقة من الطلاب لتقديم عمل سنوي على مسرح الجامعة. لكن الصدفة لعبت دورها في هذه المرحلة على يد صديق له تحمس لفكرة المسرح وعرفه على منير ابودبس في العام 1962، ذلك الشاب الاتي من باريس يومذاك والذي كان يعمل تحت رعاية لجنة مهرجانات بعلبك.

كان ابودبس يدير معهد المسرح الحديث الذي انبثقت منه في ما بعد فرقة "المسرح الحديث". هنا يذكر موقفا مضحكا حصل معه في اول حضور لصف من صفوف ابودبس، اذ دخل ورأى الجميع صامتا، متأملا وجالسا تحت بقعة ضوء كمعبد، فلم يتحمل اكثر من 3 دقائق. خرج ضاحكا على ما يقومون به. لكن بدافع الفضول عاد والتحق بالمعهد ليكتشف اهمية هذه المادة التي لم تكن تدرس في الحقل الثقافي. بعد 12 يوم دراسة، اكتشف ان مادة المسرح مادة تتطلب وعيا وعملا جديا، فرمى كل ما يعرفه خارجا، ودخل مجردا من كل شيء، لينكب على لعبته القديمة، المسرح التي بدأت شيئا فشيئا، يحترف اصولها. في هذه الفترة كانت اسماء لامعة قد سبقته في هذا المجال كريمون جبارة وانطوان ولطيفة ملتقى.

نجوميته الحقيقية حققها في ادواره المسرحية، ليكون الممثل المسرحي الاشهر في لبنان طيلة 3 عقود.

اول ظهور له على المسرح، كان في المغرب، لدى مشاركة فرقة "المسرح الحديث" في مهرجان حوض البحر المتوسط، حيث قدمت سهرة اغريقية "اوديب ملكا وانتيغونا". تولى انذاك مسؤوليات ومهمات رئيسية في فرقة "المسرح الحديث"، وفي الوقت نفسه اختلف انطوان ملتقى مع منير ابودبس في وجهات النظر، فشكل ملتقى فرقة "حلقة المسرح اللبناني". لكن الاعمال توالت في فرقة "المسرح الحديث" التي شاركت في مهرجانات جبيل حيث لعبت "ماكبث". وبعدها بعام قدمت "الذباب" لسارتر، ثم "هاملت" التي شاركت في مهرجانات بعلبك، وكانت اول فرقة مسرحية عربية تعرض في بعلبك.

مع هذا المناخ، عرفت بيروت الستينات نوعا من النهضة الثقافية، فتنوعت كفرقة "محترف بيروت للمسرح" مع روجيه عساف ونضال الاشقر، وفرقة "المسرح الحر" مع برج فازليان وريمون جبارة واندريه جدع، اضافة الى فرقة انطوان ولطيفة ملتقى وفرقة منير ابودبس.

ويقول كرباج في هذا السياق: "كنا مجموعة مجانين نحب الفن للفن، فنهضة الستينات لم تولد الا نتيجة تنافس وتفاعل بين جميع هذه الفرق، التي اختلفت في وجهات النظر وطرق الطرح، لكنها اجتمعت على تنشيط الحياة الثقافية."

في العام 1965، لعب دور الملك في مسرحية "الملك يموت" ليوجين يونسكو، هذا الدور شكل انطلاقته الاولى في عالم التمثيل. فبعدما تميز فيه، قرر ان يمضي في هذا الدرب.

في 5 حزيران 1967 وقعت النكسة. مع الهزيمة تبدلت في داخله اشياء عدة، كان اهمها انفصاله عن فرقة "المسرح الحديث" لمنير ابودبس، وهذا عائد الى اسباب عدة. اولا، بعد هزيمة 1967، احس بأن الارض تسحب من تحت اقدام العرب، وبأن الجميع يتناول هذه القضية المصيرية، بالنسبة الى جيل كامل، بطريقة "تنظير بتنظير"، بعيدا من الجدية والموضوعية. هنا شعر بأن الممثل يجب ان يتفاعل مع الاحداث، وان يطرح كل هذه القضايا على المسرح، ويلتزم قضية الانسان عموما. فتكلم مع ابودبس عن الموضوع، وطلب منه ان يقدم على هذه الخطوة، وان يبتعد من اللغة الفصحى ويبدأ العمل باللغة المحكية (كل المسرحيات في الفرقة كانت تقدم بالفصحى)، غير ان ابودبس لم يوافق. بالنسبة اليه، الممثل كائن خلاق وتحيط به هالة من القدسية، وهو يقوم برسالته تحت شعار الفن للفن. هنا زادت الهوة بينهما وانفصل كرباج وصديقه ميشال نبعه عن فرقة "المسرح الحديث" عام 1968، وكان على اقتناع بصوابية ترك الفرقة، لانه كان واثقا بأنه لا يمكن اكمال العمل بالطريقة نفسها التي كانت عليها قبل هزيمة 1967. وفيما اعتبر ان المسرح لا يستطيع ان يدير ظهره للمشاكل، قرر ان يبدأ بطرح اللغة المحكية التي تعبر عن همومنا وهواجسنا، لغتنا الحقيقية، فاللغة تطوع وتهذب. كانت النتيجة، او الرد على كل من انتقدهم مسرحية "الديكتاتور" التي كتبها الشاعر عصام محفوظ، حيث قدم من خلالها مفهوما جديدا للمسرح اللبناني، فعرض حوارا مكثفا لمدة ساعتين في اللغة اللبنانية المحكية بين الديكتاتور ومساعده في ديكور متواضع. تعكس هذه المسرحية التي قدمت على مسرح غولبكيان، واقع كل سياسي عربي ميسور الحال، بينما تتضور الناس جوعا تحت الحصار. ثم شارك كرباج في مسرحية "الامير الاحمر" التي عرضت في سينما أورلي، وهي مقتبسة عن قصة مارون عبود، اخراج يعقوب الشدراوي، بطولة ليلى كرم، ايلي صنيفر، الياس رزق. وتسلط الضوء على المشاكل الاقتصادية والاجتماعية التي تواجهها القرى اللبنانية، في

> **كل من يقومون بأدوار الشر يتميزون بطيبة القلب فيبدعون بما لا يملكون منه في شخصيتهم**

معركة بين الخير وسلطة الشر المحدقة بالقرويين المتواضعين في بحثهم عن كرامة ضائعة.

بعد الديكتاتور، قدم مسرحية "المهرج" للمؤلف الشاعر السوري محمد الماغوط. هذه المسرحية كانت ممنوعة في الشام لما تحتويه من نقد قاس للانظمة والاحوال السائدة، فالتقى الماغوط واتفقا على عرضها في لبنان، وكانت من اخراج يعقوب الشدراوي. تناول فيها المؤلف قضايا تتعلق بـ"الامة العربية" ككل، ومحاربة الفساد، وضياع فلسطين وغيرها من الاراضي العربية. كانت المسرحية مثابة دعوة الى تغيير في السياسة العربية وتحديثها وتطويرها. في العام نفسه (1974) قدم كرباج بالاشتراك مع نضال الاشقر، مسرحية "ابوعلي الاسمراني"، على مسرح سينما أورلي، للكاتب التركي خلدون تنير، موسيقى زياد الرحباني، اخراج برج فازليان.

بعدها قدم "المارسيلياز العربي" التي اثارت ضجة كبيرة، من تأليف الماغوط واخراج الشدراوي. وقد تزامن يوم عرض المسرحية مع تاريخ مشؤوم هو حادثة عين الرمانة، الاحد 13 نيسان، فتوقف العرض وبدأت الحرب ومتاهاتها. جاءت الحرب وقصفت الحركة المسرحية، ولم يستطع احد استرجاعها.

عام 1979 قدم مسرحية "القبقاب" على مسرح كازينو لبنان، من تأليف انطون غندور، وقام كرباج بعملية الاخراج للمرة الاولى في هذه المسرحية التي كان قام فيها ايضا بدور ◄

◄ البطولة. في نيسان 1980، وعلى مسرح كازينو لبنان، استمر التعاون مع انطون غندور فقدم مسرحية "بربر آغا". في العام نفسه بدأ التعاون مع روميو لحود، فقدم مسرحية "نمرود" على مسرح الاليزيه في الاشرفية، احد المسارح القليلة في لبنان التي لم تغلق خلال الحرب الاهلية اللبنانية، وكانت واحدة من حوالى 12 مسرحية من اخراج روميو لحود.

عام 1985 شارك كرباج في مسرحية "امرك سيدنا" على مسرح كازينو لبنان، اخراج زهراب يعقوبيان، والموسيقى التصويرية لزياد الرحباني. عام 1987 قدم مسرحية "ابطال وحراميي" في كازينو لبنان. عام 1995 شارك في مسرحية "كذاب عند الطلب" لم تعرض فقط في لبنان، بل عرضت في دول اخرى مثل اوستراليا.

لعل مشاركته في مسرحيات الاخوين الرحباني والايقونة السيدة فيروز، كان لها وقع استثنائي على كرباج نفسه وعلى جمهوره، حيث جسد شخصيات تتطلب اداء مركبا.

كان يقول: "الرحابنة خلقوا الاغنية اللبنانية ورسموا لنا وطنا لم يزل حلما جميلا، الله اعلم متى يصبح حقيقة. الرحابنة يبنون مسرحهم على ضبط الكلمة الآية في لبنان".

لعب شخصية المهرب في "يعيش يعيش" (1970)، والوالي في "صح النوم" (1971)، وقدم دور فاتك المتسلط في "جبال الصوان" (1972)، وكان الملك غيبون في "ناطورة المفاتيح" (1972)، والحرامي في "المحطة" (1974)، والقائد الروماني في "بترا" (1977).

في ما بعد، تعاون مع منصور الرحباني فأدى دور "اليوزباشي عساف" في مسرحية "صيف 840" (كازينو لبنان، 1987)، و"الملك رعد الثالث" في "حكم الرعيان" (مهرجانات بيت الدين، ودمشق، وحلب، والدوحة، 2004 - 2005).

ومن اعماله المسرحية ايضا "بليلة قمر" مع فرقة كركلا (كازينو لبنان ومونتريال، ولاس فيغاس، 2000)، و"الف ليلة وليلة"، انتاج مدينة دبي للاعلام (دبي، مهرجانات بعلبك الدولية، بيروت، لندن، 2002 - 2003).

كانت الدراما المحلية تشق طريقها مع نشوء تلفزيون لبنان والمشرق (1959)، لتصل الى عصرها الذهبي في السبعينات، وتحديدا في السنوات التي سبقت انفجار الحرب الاهلية. في تلك الفترة، كان كرباج واحدا من ابرز الممثلين المؤسسين للدراما اللبنانية، واجاد ادوار الشر والخير على حد سواء في الدراما التلفزيونية منذ تجسيده شخصية "جان فالجان" في مسلسل "البؤساء" لفيكتور هوغو عام 1974 (اخراج باسم نصر) محققا نجاحا جماهيريا كبيرا، مرسخا نفسه نجما اول على الشاشة المحلية.

ثم في المرحلة الانتقالية من تقديم الاعمال المترجمة والمقتبسة الى الانتاجات المحلية، تقاسم بطولة مسلسل "ديالا" (1977، اخراج انطوان ريمي) مع الراحلة هند ابي اللمع، ومسلسل "لمن تغني الطيور"، ومسلسل "اوراق الزمن المر" مع منى واصف وجوليا بطرس.

لعل الدور التلفزيوني الابرز الذي لا ينساه اللبنانيون كان في مسلسل "بربر آغا" (1979، اخراج باسم نصر) للكاتب انطوان غندور، الذي حقق له شهرة واسعة.

شارك كرباج، ليس في المسرح وفي المسلسلات التلفزيونية فحسب، بل في العديد من الافلام والانتاج السينمائي، منها فيلم "نساء في خطر" (1982) بطولة ليز سركيسيان بالاشتراك مع فؤاد شرف الدين، فهمان، مادونا، واخراج سمير الغصيني.

ستبقى روح الملك تظللنا. وبصوته الرنان وحضوره الطاغي سيبقى في الذاكرة. هو من علمنا بأن العظماء، شأنهم شأنه وشأن "بربر اغا"، لا يموتون!

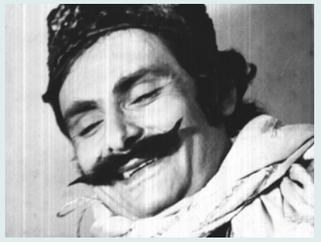

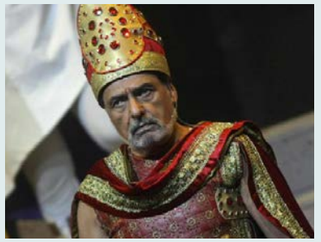

تعلن المديريّة العامّة للأمن العام
تصميمها المثابرة حتى النهاية.

المديريّة العامّة
للأمن العام